الموصل في ضوء كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن الْقَلَانِسِيِّ (ت٥٥٥هـ/١٠٦٤م) (دراسة سياسية مقارنة)

Mosul according to “Dhail Ta'rikh Dimashq” by Ibn al-Qalanisi's (D. 555 AH/1064 A.D) (A Comparative Political Study)

أ.د. ميسون ذنون العبايجي

Prof.Dr. Maysoon Thanoon Al-Abayachi

جامعة الموصل/كلية الآداب

University of Mosul\College of Art

E-mail: maysoonthanoon@uomosul.edu.iq

https://orcid.org/0000-0001-7982-099X

الكلمات المفتاحية: الموصل، السلاجقة، الفرنج، ابن الْقَلَانِسِيّ، دمشق

Keywords: Mosul, Ibn al-Qalanisi,Frank, Damascus, Seljuk

الملخص

البحث محاولة لدراسة الروايات التاريخية التي اوردها المؤرخ الدمشقي ابن الْقَلَانِسِيّ(ت٥٥٥هـ/١٠٦٤م) الخاصة بمدينة الموصل، اذ اورد الاخير العديد من الروايات التاريخية عن الموصل التي كان اغلبها يتعلق بالجانب السياسي، والهدف من البحث هو الوصول الى جذور الرواية التاريخية الموصلية، اذ ان معظم الروايات التي وردت عن الموصل في الحقب التاريخية المختلفة لا توجد تواريخ محلية في القرون الاولى ماعدا تاريخ الموصل لابي زكريا الازدي وفي الفترة المتأخرة كان كتاب الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية في الموصل **للمؤرخ الموصلي ابن الأثير(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)** ماعدا ذلك ان معظم المعلومات التي اوردها المؤرخون عن مدينة الموصل مستقاة من مصادر شامية او بغدادية، **وبالأخص** المصادر الشامية لقربها الجغرافي من مدينة الموصل، ومن ضمن ذيل تاريخ دمشق لابن الْقَلَانِسِيّ، ومما تجدر الاشارة اليه ونظرا لسعة المادة التي قدمها ابن الْقَلَانِسِيّ عن الموصل وحكامها في فترات الدولة السلجوقية والنورية والزنكية التي حكمت الموصل لذا فالبحث اقتصر على تناول تاريخ الموصل في العصر السلجوقي للمدة (٤٨٩-٥٢١هـ/١٠٥٩-١١٢٧م) لذا فحدود البحث تضمنت دراسة حكام الْمَوْصِل الذين توالوا على حكم الْمَوْصِل، وعددهم عشرة حكام ابتداءً من قوام الدين سعيد كَرْبُوقَا (٤٨٩-٤٩٥هـ/١٠٩٥-١١٠١م) وانتهاءً بـ مسعود ابن آقْسُنْقُر الْبُرْسُقِي (٥٢٠-٥٢١هـ/١١٢٦-١١٢٧) وتولي عماد الدين زَنْكِي سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) وهو بداية لحكم الأسرة الزنكية في الموصل. وتضمنت خطة النقاط الاتية: المقدمة، أولاً: نبذة تعريفية عن المؤرخ ابن الْقَلَانِسِيّ وكتابه **ذيل تاريخ دمشق ثانياً:** الروايات التاريخية التي وردت لدى ابن الْقَلَانِسِيّ عن الموصل.

Abstract

The paper is an attempt to study historical novels that were recited by the Damascus historian Ibn **al-Qalanisi's** (d. 555 AH/1064 AD), which are related to the city of Mosul. The latter wrote many historical novels about Mosul, most of them related to the political aspect. The paper aims at arriving at the essence of the Muslim historical novel. Most novels that tackled Mosul in different historical eras don't have local date in the first centuries except for the history of Mosul by Abu Zakaria Al-Azdi. At later times the book of El Bahir(d. 630 AH/1232 AD) in the tablet state history in Mosul by the Mosuli historian Ibn Al-Atheer. Apart from that, most information that was presented by historians about the city of Mosul is taken from the Levant or Baghdadi resources, especially the first ones, due to their geographical position from the city of Mosul. This includes the tale of the history of Damascus by Eben Alkalancy. It is worth mentioning, and did you do the vast extending materials that were presented by even Alkalancy about the city of Mosul and its rulers during Seljuk, Nuri and Zengid periods. The paper was confined to tackling the history of Mosul during Seljuk periods (489-521 AH / 1059-1127 AD). Therefore, the scope of the paper includes studying the rulers of Mosul who successively root Mosul and they were 10 in number starting from Qawam ad-Din Sa'id Karbuqa (489-495 AH/1095-1101 AD) and ending with Mas'ud ibn Aqsunqur al-Bursuqi (520-521 AH/1126-1127 AD) and the succession of Imad ad-Din Zengid in the year (521 AH/1127 AD) which is the beginning of the rule of the Zengid dynasty in Mosul.

المقدمة:

البحث محاولة لدراسة الروايات التاريخية التي اوردها المؤرخ الدمشقي ابن الْقَلَانِسِيّ(ت٥٥٥هـ/١١٦٠م) الخاصة بمدينة الْمَوْصِل، اذ اورد الاخير العديد من الروايات التاريخية عن الْمَوْصِل التي كان اغلبها يتعلق بالجانب السياسي، والهدف من البحث هو الوصول الى جذور الرواية التاريخية الْمَوْصِلية، اذ ان معظم الروايات التي وردت عن الْمَوْصِل في الحقب التاريخية المختلفة لا توجد تواريخ محلية في القرون الاولى ماعدا تاريخ الْمَوْصِل لابي زكريا الازدي وفي الفترة المتأخرة كان كتاب **الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية** في الْمَوْصِل لابن الأثير ماعدا ذلك ان معظم المعلومات التي اوردها المؤرخون عن مدينة الْمَوْصِل مستقاة من مصادر شامية او بغدادية، وبالأخص المصادر الشامية لقربها الجغرافي من مدينة الْمَوْصِل، ومن ضمن ذيل تاريخ دمشق لابن الْقَلَانِسِيّ، ومما تجدر الإشارة اليه ونظراً لسعة المادة التي قدمها ابن الْقَلَانِسِيّ عن الْمَوْصِل وحكامها في فترات الدولة السلجوقية والنورية والزنكية التي حكمت الْمَوْصِل، لذا فالبحث اقتصر على تناول حكام الْمَوْصِل في العصر السلجوقي(٤٨٩-٥٢١هـ/١٠٩٥-١١٢٧م) اذ كانت الْمَوْصِل على صلة كبيرة بحكام بلاد الشام لاسيما تلك الفترة المتعلقة بالغزو الفرنجي على بلاد الشام، ولها الأثر الكبير في التصدي للكثير من المحاولات الفرنجية للإستيلاء على بعض مدن الشام. وعليه فقد قسم البحث الى مقدمة، ونبذة تعريفية عن المؤرخ ابن الْقَلَانِسِيّ وكتابه **ذيل تاريخ دمشق** واهم الروايات التاريخية التي أوردها عن الْمَوْصِل، مع تقديم مقارنة بأهم المصادر التاريخية لغرض بيان أهمية رواياته التاريخية بالنسبة لتاريخ الْمَوْصِل، ثم الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

اولاً: ابن الْقَلَانِسِيّ وكتابه الذيل:

ابن الْقَلَانِسِيّ هو ابو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، المعروف بابن الْقَلَانِسِيّ (بدران ، ١٩١٣،مج٤ ، ص٣٤٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم الادباء ،١٩٩٦ ،ج١٠ ، ص٢٧٨) ، وقد لقبه المؤرخ ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) بـ عميد الدين (ابن الفوطي،٢٠٠٨ ، ج٤ ، ق٢ ، ص٩١٢)، ينتمي إلى اسرة دمشقية معروفة تنحدر من قبيلة تميم العربية(جب ،١٩٧٣ ، ص٤٠)، لم يكن تاريخ ولادته معروفاً، لكن الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) أشار إلى انه توفي عن عمر ناهز التسعين (١٩٨٦، ج٢٠، ص ٣٨٨) فهذا يعني انه ولد بين السنوات (٤٦٠-٤٦٥هـ/١٠٦٧-١٠٧٢م)، اذا علمنا أن تاريخ وفاته كان في سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، كان لابن الْقَلَانِسِيّ اهتمام بالحديث والادب والنثر ونظم الشعر وكتابة الانشاء، وقد درس على يد الشيخ ابي الفرج سهل بن بشر الاسفراييني، وابي احمد حامد بن يوسف بن حسين التغلبي، واصبح ابن الْقَلَانِسِيّ فيما بعد كاتباً في ديوان دمشق، ثم ارتقى إلى

منصب أعلى وهو رئاسة دمشق (ابن كثير،١٩٦٨، ج١٣ ، ص٢٦٦ ؛ ابن تغري بردي ،د.ت ، ج٥ ، ص٣٣٢) ،وكانت وفاته في (٧-ربيع الاول ٥٥٥هـ/١٨-اذار-١١٦٠) (بدران ،١٩١٣ ، مج٤ ، ص٣٥٠) بدمشق ودفن بجبل قاسيون، وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق (ياقوت الحموي ، ١٩٩٥، ج٥ ،ص٢٩٥) ،ونجد اسرة ابن الْقَلَانِسِيّ قد ظلت معروفة حتى القرن (التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد) (ابن كثير ،١٩٦٨ ، ج١٢ ، ص٣٦)، فهناك العديد من الشخصيات التي تنتمي إلى اسرة ابن الْقَلَانِسِيّ التي تولت مناصب مهمة في مدينة دمشق، مثل جمال الدين أبو العباس احمد بن شرف الدين محمد بن اسد بن حمزة بن أسد بن علي ابن محمد التميمي الدمشقي ابن الْقَلَانِسِيّ (ت٧٣١هـ/١٢٣٣م) كان يتولى العساكر بدمشق ووكيل بيت المال(ابن كثير،١٩٦٨، ج١٤ ، ص ١٥٦)، وكذلك مؤيد الدين ابي المعالي أسعد بن غالب المظفري (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣) الذي يعد أحد أحفاد ابن الْقَلَانِسِيّ، وكان يتولى أيضا رئاسة دمشق، إذ ذكر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ما نصه :"وكان رئيساً كبيراً واسع النعمة، وكان جده مؤيد الدين أسعد بن حمزة وزيراً للملك الأفضل بن صلاح الدين بن ايوب"(ابن كثير،ج١٣،ص ٢٦٦) ولأسرة ابن الْقَلَانِسِيّ دار حديث سميت بإسمها وهي دار الحديث الْقَلَانِسِيّة وكان يدرس فيها الصاحب عز الدين ابو يعلى حمزة بن مؤيد الدين ابي المعالي بن حمزة بن اسد التميمي الدمشقي(النعيمي،١٩٤٨، ج١ ، ص ٩١).

ثانيا: كتاب ذيل تاريخ دمشق :

يعد كتاب **ذيل تاريخ دمشق** من التواريخ المحلية التي أرخت لمدينة دمشق، ويبدو من العنوان انه استمرار لعمل تاريخي مبكر(ابن الْقَلَانِسِيّ،١٩٠٨،ص٢،(مقدمة المحقق)؛ جب،١٩٧٣،ص٤١) إذ وردت إشارة لدى المؤرخ ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) بان الكتاب هو ذيل على تاريخ هلال الصابئ (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) بقوله : "وذكر ابو يعلى حمزة بن اسد المعروف بابن الْقَلَانِسِيّ الدمشقي في تاريخه الذي جعله ذيلاً على تاريخ ابي الحسن هلال بن الصابئ" (١٩٩٤،ج٧،ص١٤٤) اذ ان تاريخ هلال ابن الصابئ ينتهي بسنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) وهي السنة التي استهل بها ابن الْقَلَانِسِيّ الكتاب، وقد أدى هذا إلى حدوث لبس بسبب هذا العنوان، مما دفع احد المؤرخين إلى القول ان هذا الكتاب هو ذيل على كتاب **تاريخ دمشق** لابن عساكر (ت ٥٧٢هـ/١١٧٦م) (ابن كثير،١٩٦٨، ج١٣، ص ١٠٢) وهذا غير ممكن لان وفاة ابن الْقَلَانِسِيّ كانت تسبق وفاة ابن عساكر، ومن المحتمل ان هذا الكتاب ليس ذيلاً على تاريخ هلال الصابئ ذلك ان الكتاب بالأصل خال من صفحات المقدمة، إذ ان وجودها سيوضح فيما إذا كان ذيلاً ام لا ، ثم ان كتاب **ذيل تاريخ دمشق** مختص بأحداث دمشق والمناطق المجاورة لها في حين تناول تاريخ هلال الصابئ أحداث الخلافة العباسية ببغداد، فضلاً عن ان معظم

المؤرخين الذين ترجموا لحياة ابن الْقَلَانِسِيّ لم يذكروا بان لديه كتاباً يحمل عنوان الذيل(ابن الفوطي، ٢٠٠٨، ج٤، ق٢، ص٩١٢-٩١٣؛ الذهبي ،١٩٨٦، ج٢٠، ص ٣٨٨؛ ابن كثير، ١٩٦٨، ج١٣،ص ٢٦٦)، بل ذكروا ان لديه تاريخاً أرخ فيه حوادث ما بعد سنة (٤٤٤هـ/١٠٥٢م) فهذا المؤرخ ابن الفوطي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) قد شاهد في سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م) في خزانة بمدينة مَرَاغَةُ في أذربيجان كتابا لابن الْقَلَانِسِيّ أرخ فيه ما بعد حوادث سنة (٤٤٤هـ/١٠٥٢م)(٢٠٠٨،ج٤، ق٢،ص ٩١٢-٩١٣).

كما سبق ذكره أن **ذيل تاريخ دمشق** لابن الْقَلَانِسِيّ يعد مصدراً أولياً عن تاريخ الحملات الصليبية أو الفرنجية المبكرة على بلاد الشام وبخاصة الحملتين الأولى والثانية (جب، ١٩٧٣، ص٤٠)، وتكمن أهميته في كونه يقدم روايات كان فيها ابن الْقَلَانِسِيّ معاصراً لمعظمها، إذ كان قد بلغ سناً ناضجة من العمر عندما وردت أخبار الحملة الصليبية الأولى(٤٩٠-٤٩٢هـ/ ١٠٩٦-١٠٩٨م) (جب، ١٩٧٣ ، ص٤٠) ، وقد ركز اهتمامه على أحداث دمشق ودور حاكمها آنذاك ظهير الدين طُغْتِكِين، والإجراءات التي اتخذها ضد الغزو الفرنجي، ووسع إهتماماته خارج حدود مدينة ولادته، وأحتضن كل الأحداث الخاصة بأعلى الشام، والجزيرة الفراتية والْمَوْصِل ومصر كدور الدولة الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م)، وردود أفعالها تجاه الغزو الفرنجي، مع ايراده عدداً من الأخبار المتفرقة عن مدينة بغداد، التي كانت فيها الخلافة العباسية تحت هيمنة السلاطين السلاجقة ونفوذهم، وكذلك الصراعات بين أفراد البيت السلجوقي (زكار،١٩٧٣،ص٢٠٧؛ كاهن،١٩٩٥، ص٢٥) والتزم ابن الْقَلَانِسِيّ في كتابة تاريخه بالتسلسل الزمني على حسب السنوات، كما هو شأن المؤرخين المسلمين، وبحكم المنصب الوظيفي الذي كان قد شغله بوصفه كاتب ديوان، فان ذلك مكنه من الحصول على الوثائق الرسمية التي كانت تصل على شكل تقارير يومية، ومع ذلك فإنه قلما ما استشهد بها، على رغم من أن العديد من رواياته تعطي دون شك زبدة لمواد وثائقية التي جرى تدوينها ساعة تلقيها، ثم اخضعت للتنقيح فيما بعد(جب،١٩٧٣،ص٤٣)، ولم يصرح ابن الْقَلَانِسِيّ بمصادر معلوماته، لكنه ذكر في احدى المناسبات انه قد اعتمد على الروايات الشفوية، إذ ذكر ذلك في حوادث سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) ما نصه: "قد انتهيت من شرح ما شرحته من هذا التاريخ ورتبته وتحفظت من الخطأ والخطل والزلل فيما علقتُه من أفواه الثقات نقلته، وأكدت الحال فيه بالاستقصاء والبحث إلى أن صححته إلى هذه السنة المباركة وهي سنة أربعين وخمسمائة ..." (١٩٨٣، ج١،ص٤٤١)، وكان ابن الْقَلَانِسِيّ حريصاً على توخي الدقة، وإيراد معظم الأحداث باليوم والشهر والاسبوع ، ومما يدل على دقته هذه انه كان يترك عددا من الأوراق بيضاء ليرجع بعدها فيضيف معلوماته بعد أن يتأكد من صحتها، فقال بصدد ذلك: "وكنت قد مُنيت منذ

سنة خمس وثلاثين وخمسمائة والى هذه الغاية بما شغل الخاطر عن الاستقصاء عمّا يجب اثباته في هذا الكتاب من الحوادث المتجددة من الأعمال والبحث عن الصـــحيح منها وجميع الأحوال، فتركت بين كل سنين من السنين بياضاً في الأوراق ليثبت فيه ما يُعرف صحته من الأخبار وتُعلم حقيقته من الحوادث والآثار"(١٩٨٣، ج١،ص٤٤١).

ثالثا: روايات ابن الْقَلَانِسِيّ عن الْمَوْصِل:

أصـبح كتاب **الذيل** مصـدراً مهماً للمؤرخين كافة الذين جاءوا بعده على سـبيل المثال ابن الأثير(ت٦٣٢هـــ/١٢٣٢م) في كتابه **الكامل** وسبط ابن الجوزي(ت٦٥٤هـــ/١٢١٥م) في كتابه **مرآة الزمان** ثم ابن العديم(ت٦٦٠هـــ/ ١٢٦٢م)في كتابه **زبدة الحلب**، حيث انه المصدر العربي الوحيد الذي اهتم برواية أحداث الحملات الصـليبية المبكرة. لقد وثق ابن الْقَلَانِسِيّ أهم فترة من فترات التاريخ الاسلامي وهي بداية الغزو الفرنجي لبلاد الشام الذي بدأ تدفقهم نحو بلاد الشام في وقت كانت دولة السـلاجقة فيه تعاني من الضـعف والإنحلال بعد وفاة السـلطان مَلِكْشَـاه (٩ جمادى الأولى ٤٤٧ – ١٥ شوال ٤٨٥هـــ/١٦ أغسطس ١٠٥٥ – ١٩ نوفمبر ١٠٩٢م) وقبله بقليل وزيره نظام الملك في(١٠ رمضـان ٤٨٥هـــ/١٤ أكتوبر ١٠٩٢م) وبدأ عصـر الإنقسـام والصـراع حول العرش، وأنصـرف السـلاجقة عن حركة التوسـع الخارجي التي بدأها سـلاطينهم العظام الى التنافس حول العرش، وأصبحت بلاد الشام على هذا النحو مسرحاً للصراع وأستعانوا بالفاطميين في مصر لتمكين نفوذهم في الشام وانتزاع دمشق، وأُعلنت الخطبة بالفعل بإسم الخليفة الفاطمي المستعلي بالله (٤٨٧– ٤٩٥هـــ/ ١٠٩٤– ١١٠١م) إذ حرص السلاجقة على إسناد إمارة الْمَوْصِل الى شخصيات عسكرية هامة عُرفت بكفاءتها وقدرتها الحربية.

واختلفت حجم الروايات التي قدمها ابن الْقَلَانِسِيّ بخصـوص حكام الْمَوْصِل في عصـر السـيطرة السـلجوقية، التي غلب عليها الطابع السـياسـي، ربما يعود سـبب ذلك إلى أن المصـادر التاريخية التي إعتمدها ابن الْقَلَانِسِـيّ كانت تمثل هذا الاتجاه، ولا ننسَ أن مجمل أحداث كتاب **الذيل** هي سـياسـية بالدرجة الأولى حال معظم المصـادر التاريخية الأخرى، وقد تتبع نشـاطات حكام الموصـل العسكرية سـنة بسـنة، ونجده في بعض الأحيان لا يذكر عن حكام الموصـل مدة البحث، وذلك لافتقار المصـدر الأسـاس لهذه المعلومات، علما أن ابن الْقَلَانِسِيّ كان بعيداً جداً عن أحداث هذه الفترة، لكنه شـهد فيما بعد معاصـرة حكم العديد من السـلاطين السـلاجقة عندما كانت سـلطتهم قائمة في بغداد، واثار الدولة السـلجوقية ما تزال موجودة، إذ عاصـر العديد من حكام الدولة السلجوقية في بغداد مثل محمود بن محمد بن مَلِكْشَاه (٥١١–٥٢٥هـــ/١١١٨–١١٣١م).

ومن خلال المعلومات التي قدمها ابن الْقَلَانِسِيّ بخصوص حكام سلاجقة الموصل الذين تولوا حكم الْمَوْصِل بعد السيطرة الفعلية للسلاجقة على المدينة سنة(٤٨٩هـ/١٠٩٥م) إذ بدأت بتولي قوام الدين كَرْبُوقَا حكم الْمَوْصِل في عهد السلطان السلجوقي بَرْكيَارُوق بن مَلِكْشَاه (٤٨٧-٤٩٨هـ/١٠٩٤-١١٠٤م)، وكانت هذه المدة من أصعب مدد التاريخ الإسلامي التي كانت مليئة بالصراعات السياسية الأسرية بين السلاطين السلاجقة أنفسهم من جهة، والخلافة العباسية، وحكام الدويلات من جهة أخرى، بدليل قوله في حوادث في حوادث (٤٩٥هـ/١١٠١م):"وفي هذه السنة وردت الأخبار بما أهل خراسان والعراق والشام عليه من الخلاف المستمر والشحناء والحروب والفساد وخوف بعضهم من بعض لاشتغال الولاة عنهم وعن النظر في أحوالهم بالخلف والمحاربة"(١٩٨٣،ج١، ص٢٢٧)، في الوقت الذي ظهرت فيه قوى جديدة في المنطقة أثرت على الوجود الفعلي للسلاجقة في بلاد الشام متمثلة بالفرنجة المتواجدين في بلاد الشام منذ سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٦م) وأسسوا إمارات عدة منها إمارة الرُّهَا و أَنْطَاكِيَةَ (٤٩١هـ/١٠٩٧م) ثم مملكة بيت المقدس (٤٩٢هـ/١٠٩٨م)، وإمارة طرابلس سنة (٥٠٢هـ/١١٠٩م)، ودخلت في صراعات مستمرة مع السلاجقة أنفسهم من اجل إنهاء وجودهم في مناطق بلاد الشام.

ومما تجدر الإشارة اليه ان كتاب **الذيل** كان قد رتبه ابن الْقَلَانِسِيّ حسب التاريخ الحولي المتمثلة بالسنوات، لكنه لم يضع في كتابه هذا اية عناوين لمضمون فقراته وانما كان يورد الأحداث متتابعة مرتبة حسب الشهور الهجرية، وفي بعض الاحيان لا يذكر اسم الشهر الذي وقع فيه الحدث التاريخي، وعلى الرغم ان ابن الْقَلَانِسِيّ من ان تركيزه كان على دمشق بصورة خاصة ومدن بلاد الشام بصورة عامة الا ان يأتي على ذكر أخبار حكام الدولة السلجوقية بالْمَوْصِل على قدر تعلق الامر بعلاقة حكام الْمَوْصِل بحكام بلاد الشام وبخاصة تلك المدن الشامية التي تعرضت الى خطر الهجوم الفرنجي على المنطقة كـ حلب ودمشق. وقد تابع ابن الْقَلَانِسِيّ وحسب التسلسل الزمني للسنوات حكام الْمَوْصِل الذين توالوا وعددهم عشرة حكام ابتداءً من قوام الدين سعيد كَرْبُوقَا (٤٨٩-٤٩٥هـ/١٠٩٥-١١٠١م) وانتهاءً بـ مسعود ابن آقْسَنْقَر البُرْسُقي (٥٢٠-٥٢١هـ/١١٢٦-١١٢٧) وتولي عماد الدين زنكي سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) حكم الموصل، وهو بداية لحكم الأسرة الزنكية في الْمَوْصِل، الذي يهمنا هنا المدة الزمنية التي تضمنها البحث، حيث تعاقب على حكمها عدة شخصيات تابعة لسلطة سلاجقة العراق وفارس. وعكس ابن الْقَلَانِسِيّ علاقة حكام الموصل بمدن بلاد الشام مثل دمشق وحلب وبعض مدن الجزيرة الفراتية، اضف الى ذلك دور السلاطين السلاجقة في تعيين وعزل حكام الموصل وكذلك دورهم في الصراعات السياسية في محاولتهم للسيطرة على مدينة الموصل، في حين كانت سلطة الخليفة

العباسي محدودة الا في بعض الأحيان عندما تضعف سلطة السلطان السلجوقي، إذ ذكر ابن الْقَلَانِسِيّ في بعض الأحيان أن الخليفة العباسي قد يستعين بحاكم الْمَوْصِل للقضاء على بعض خصومه كما يفعل السلطان السلجوقي وهذه حالات نادرة جدا، أو قد يوعز الخليفة العباسي إلى السلطان السلجوقي طلب عزل حاكم الْمَوْصِل لعدم تنفيذ الأخير لأوامر الخليفة العباسي مما يشير إلى ضعف سلطة الخليفة، اذ وردت في حوادث (٥٠٠هـ/١١٠٦م) ان في هذه السنة تتابعت المكاتبات إلى السلطان محمد مَلِكْشَاه(٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٤-١١١٨م) من قبل طغتكين حاكم دمشق(٤٧٩-٥١١هـ/١١٠٣-١١١٧م) وفخر الملك بن عمار صاحب طرابلس على الأفعال التي ارتكبها الافرنج من الفساد وسيطرتهم على بعض المعاقل والحصون بالشام والساحل، والفتك باهلها، وتعرضهم لسواحل مدينة طرابلس، عندها اختار السلطان محمد مَلِكْشَاه لما عرف بهذا الافعال الأمير جَاوْلِي سَقَاوُه وأميراً من مقدمي عسكره كبيراً في عسكر كثيف من الأتراك وكتب إلى بغداد وإلى الأمير سيف الدولة صدقة بن مزيد والى جَكَرْمِش صاحب الْمَوْصِل وزودهم بالمال والرجال وحث جَاوْلِي على الجهاد واقطعه الرَحْبَة ، وما على الفرات فثقل أمره على المكانين فدافعه ابن مزيد وسار نحو الْمَوْصِل، يلتمس من جَكَرْمِش ما وقع به عليه فتوقف عنه فنزل على قلعة السِّن ونهبها واجتمع إليه خلق كثير وخرج جَكَرْمِش إلى لقائه فظفر به جَاوْلِي سَقَاوُه، واستباح عسكره وأنهزم ولده إلى الْمَوْصِل فضبطها وتوجه وراءه وقتل جَكَرْمِش أباه وأنفذ رأسه إلى الْمَوْصِل(ابن الْقَلَانِسِيّ،١٩٨٣،/ج١، ٢٥٠)، اما ابن الأثير فانه ذكر هذه رواية تختلف عما ذكره ابن الْقَلَانِسِيّ وهي ان جَكَرْمِش وقع في الاسر وبقي اسيراً ثم توفي وعمره نحو ستين سنة(١٩٩٧،ج٨، ص٥٣٧)، فلما عرف ولده ولم يذكر ابن الْقَلَانِسِيّ اسمه، وهو زِنْكِي بن جَكَرْمِش عمره إحدى عشرة سنة، وخطبوا له، وأحضروا أعيان البلد، والتمسوا منهم المساعدة، فأجابوا إلى ذلك(ابن الأثير،١٩٩٧،ج٨، ص٥٣٦)، ذاك ارسل الى قَلْج أَرْسِلَان بن سُلَيْمَان بن قُتُلْمِشْ وهو في مَلَطْيَةَ حتى يسلم له الموصل وأعمالها (ابن الْقَلَانِسِيّ،١٩٨٣،/ج١، ٢٥٠). وخصص ابن الْقَلَانِسِيّ فقرة للحديث عن صفات جَكَرْمِش قائلاً :"وكان جَكَرْمِش قد جمع مالاً عظيماً من الجزيرة والْمَوْصِل وكان جميل الصورة في الرعية عادلاً في ولايته مشهوراً بالإنصاف في أعمال ايالته"(١٩٨٣/ج١، ٢٥١)، وهو ما ذكره ابن الأثير ايضاً:" وكان شأنه قد علا، ومنزلته قد عظمت، وكان قد شيد سور الموصل وقواه، وبنى عليها فصيلا، وحفر خندقها، وحصنها غاية ما يقدر عليه"(١٩٩٧،ج٨، ٥٣٧). وذكر ابن الْقَلَانِسِيّ في حوادث سنة(٥٠٠هـ/١١٠٦م) السنة التي توفي فيها جَكَرْمِش الصراعات السياسية بين جَاوْلِي سَقَاوُه و قَلْجِ أَرْسِلَان بن سُلَيْمَان في سبيل الاستيلاء على الْمَوْصِل، اذ على اثر وفاته كتب ولد جَكَرْمِش لقَلْج بن سُلَيْمَان بن قُتُلْمِشْ يستدعيه لتسليم الْمَوْصِل اليه، وعلى اثر ذلك سار قَلْج أَرْسِلَان ودخل

مدينة نَصِـــيبِين واســـتدعى ابن جَكَرْمِش ووصـــل الأخير اليه "(١٩٨٣/ج١، ٢٥١)، وبين ابن الْقَلَانِسِيّ سبب توجه قَلْج أَرْسِلَان الى نَصِيبِين لأنه كان في بعض عسكره، وبقية عسكره في بلاد الروم لانجاد ملك القســطنطينية على الافرنج(١٩٨٣/ج١، ٢٥١)، ولما تقارب عســكر قَلْج من عسكر جَاوْلِي سَـقَاوُه التقى الفريقان، اسـتطاع جيش قَلْج من أسـر بعض من أصـحاب جَاوْلِي سَقَاوُه، وقتل وأُسر من الجانبين(١٩٨٣/ج١، ٢٥١)، عندها رحل جَاوْلِي سَقَاوُه وطلب من عسكر قَلْج ان يلتقيا الفريقين لمعرفته ان جزء من جيش قَلْج في بلاد الروم فاسـتغل هذه الفرصـة، ووقع اختيـار جَـاوْلِي على نـاحيـة الْخَـابُور النهر الكبير بين رأس عين والفرات(يـاقوت الحموي،١٩٩٥،ج٢،ص٣٣٤) وتوجـه منهـا إلى الرَحْبَـة (١٩٨٣/ج١، ٢٥١)، وذكر ابن الْقَلَانِسِيّ ان والي الرَحْبَة محمد كان قد أرسل الى قَلْجِ أَرْسِلَان بن سليمان لمساعدته ضد جَاوْلِي سَقَاوُه فتوجه نحو الرَحْبَة في عسكره لكن علم باستيلاء جَاوْلِي عليها ونزل على الشَّمْسَانِيَّةَ وهي من أعظم قرى الْخَابُور وَأَحصنها(ابن الأثير،١٩٩٧،ج٧، ص١١٥) ولم يكن في نيته لقاء جَاوْلِي (١٩٨٣/ج١، ٢٥٢)، وبقي جَاوْلِي محاصـــرا للرحبة منذ أول رجب وإلى الثاني والعشـــرين من شهر رمضان وزاد الفرات زيادته المعروفة فركب أصحاب جَاوْلِي الزواريق وصعدوا طالبين سور البلد بالاتفاق مع بعض أهلها (١٩٨٣/ج١، ٢٥١)، لكنهم لم يفلحوا في ذلك، فهدموا ســـور المدينة، وتم الاسـتيلاء عليه، وسـقط قلج مع الهزيمة في الخابور فهلك في الماء ولم يظهر وبعد أيام وجد هالكاً(ابن الْقَلَانِســـيّ،١٩٨٣/ج١، ٢٥٢) ونهبوا البلد، وقبضـــوا على عدد من اهالي الرَحْبَة، لكن أمر جَاوْلِي بالتوقف عن نهب البلد، وإطلاق ســـراح المقبوض عليهم، وبعد خمسة أيام في(٢٨/رمضان) تم تسليم القلعة، ووضع عليها محمد واليها السابق، لكنه قبض عليه بعد أيام لأمر بلغه عنه فأنكره منه واعتقله في القلعة(ابن الْقَلَانِسِـيّ،١٩٨٣/ج١، ٢٥٢)، ثم عاد جَاوْلِي الى الْمَوْصِل(ابن الْقَلَانِسِيّ،١٩٨٣/ج١، ٢٥٣).

وفي سنة (٥٠١هـ/١١٠٧م) قرر شرف الدين مودود التوجه نحو الْمَوْصِل ومعه مزيد بن صـدقة صـاحب الحلة للاسـتيلاء عليها واخذها من حاكمها جَاوْلِي (ابن الْقَلَانِسِـيّ،١٩٨٣/ج١، ٢٥٦)، وبالفعل توجه مودود وعسـكره، ونزل على الْمَوْصِـل، وذكر ابن الْقَلَانِسِـيّ ان جَاوْلِي قد أخرج أكثر أهلها منها، وأساء أصـحابه السيرة فيها، وارتكبوا كل محرم منها(١٩٨٣/ج١، ٢٥٦)، وتوجـه جَـاوْلِي إلى الرَحْبَـة واســـتنـاب فيهـا من وثق بـه من أصـــحـابـه لحفظهـا، (ابن الْقَلَانِسِـيّ،١٩٨٣/ج١، ٢٥٦)، لكن تمكن سـبعة اشـخاص من أهلها وتعاونوا مع مودود وفتحوا باباً من أبوابها وســـلموها اليه ودخلها وقتل مقتلةً كبيرةً من أصـــحاب جَاوْلِي وأمن من كان في القلعة(ابن الْقَلَانِســـيّ،١٩٨٣/ج١، ٢٥٦). فنجد هنا ان ابن الْقَلَانِســـيّ لم يزودنا بتفاصـــيل استيلاء مودود على الْمَوْصِل بينما ابن الأثير ذكر تلك التفاصيل، اذ ذكر ان جَاوْلِي قد اخرج ما

يزيد على عشرين الفا من الاحداث(١٩٩٧،مج٩،ص١٢٤)، وخرج عن الْمَوْصِل ونهب السواد، وترك زوجته بالبلد وهي ابنة برسق ، واسكنها القلعة ومعها الف وخمسمائة فارس من الاتراك، وتم حصار المدينة ، وفي هذه الاثناء حدث قتالا بين الطرفين وكان في بعض الاحيان متتابعاً، واستمر الحصار الى شهر محرم من سنة(٥٠٢هـ/١١٠٨م) الى ان قرر احد الجصاصين الذي يعرف بـ سعدي الاتفاق على تسليم البلد لأصحاب السلطان محمد ، وبالفعل تم ذلك، بعد ان اتفق مع جماعة على مهاجمة احد ابراج قلعة الْمَوْصِل، وقتلوا من به حيث كانوا نياماً، وهكذا تمكنوا من على برج اخر، فزحف عسكر السلطان اليهم ،وسيطروا على الْمَوْصِل بقيادة مودود في(٢٦محرم ٤/٥٠٢ ايلول ١١٠٨)(ابن الأثير،١٩٩٧، الكامل، مج٩،ص١٢٥) ونودي بالمدينة في ان يعود الاهالي الى بيوتهم واملاكهم، واقامت زوجة جَاوْلِي ثمانية ايام في القلعة، وراسلت الامير مودود في ان يفرج عنها، ومعها الاموال، فخرجت زوجة جَاوْلِي من القلعة وتوجهت الى اخيها برسق بن برسق، ثم تولى مودود ادارة الْمَوْصِل في صفر (٥٠٢هـ/١١٠٨م) وما يتبعها من النواحي(ابن الأثير،١٩٩٧، مج٩،ص١٢٥).

يمكن القول ان المؤرخ ابن الْقَلَانِسِيّ من المؤرخين الذين اعطوا تفاصيل وافية عن وفاة مودود وذلك لان وفاة الاخير وقعت في دمشق، فقال انه في (الجمعة الاخيرة من شهر ربيع الاخر سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م) كان مودود قد خيم بمرج بيت الحديد، وكان قد خرج منه الى جامع دمشق ليصلي فيه ومعه اتابك زَنْكِي، وبعد انقضاء الصلاح خرجا الى صحن الجامع اقترب منه رجل كانه يدعو له ويتصدق منه فطعنه في خاصرته واجزاء اخرى من جسده، عندها هجم على هذا الرجل وقتل وقطع راسه حتى لا يعرفه احد(١٩٨٣،ج١،ص٢٩٨)، فقيل انه من الباطنية(١٩٨٣،ج١،ص٢٩٨)، ، اما مودود فحمل الى دار زَنْكِي، و اضطرب الناس اضطراباً شديداً(١٩٨٣،ج١،ص٢٩٨)، ، وقال ابن الْقَلَانِسِيّ ما نصه واصفا الحالة بعد نقل مودود الى دار زَنْكِي:" وأحضر الجرائحي فخاط البعض وتوفي رحمه الله بعد ساعات يسيرة في اليوم المذكور"(ابن الْقَلَانِسِيّ،١٩٨٣،ج١،ص٢٩٨)، ونجد هنا ان ابن الْقَلَانِسِيّ وهو مؤرخ دمشقي يصف رد فعل حاكم دمشق على وفاة مودود بانه تألم ، وازداد حزنه(١٩٨٣،ج١،ص٢٩٨)، ، فذكر ما نصه: "وقد كفن ودفن وقت صلاة العصر من اليوم في مشهد داخل باب الفراديس من دمشق وكل عين تشاهده باكية والمدامع على الوجنات جارية"(١٩٨٣،ج١،ص٢٩٨)، اما ابن الأثير الذي يمثل وجهة نظر أهالي الْمَوْصِلي وما كان يتداول من حديث عن وفاة مودود، اذوأذن الأمير مَوْدُود للعساكر في العودة والاستراحة من قتال الفرنج، ثم العودة الى الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة، وبقي في خواصه، ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الأول ليقيم عند زَنْكِي إلى الربيع، فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الأول، ليصلي فيه وزَنْكِي، فلما فرغوا من

الصـــلاة، وخرج إلى صـــحن الجامع، ويده في يد زَنْكِي، وثب عليه باطني فضـــربه فجرحه أربع جراحات وقتل الباطني، وأخذ رأسه، فلم يعرفه أحد، فأحرق(١٩٩٧،ج٨،ص٥٩٦) ،وكان صائما، فحمل إلى دار زَنْكِي، واجتهد به ليفطر، فلم يفعل، وقال :لا لقيت الله إلا صـــائما، فمات من يومه، رحمه الله، فقيل إن الباطنية بالشـــام خافوه وقتلوه(١٩٩٧،ج٨،ص٥٩٦)، وقيل بل خافه زَنْكِي فوضـــع عليه من قتله(١٩٩٧،ج٨،ص٥٩٦)، وقد وصـــفه ابن الأثير نقلا عن والده قوله :"وكـان خيرا، عـادلا، كثير الخير .حـدثني والـدي قـال :كتـب ملـك الفرنج إلى زَنْكِي، بعـد قتـل مودود، كتابا من فصـــوله :أن أمة قتلت عميدها. يوم عيدها. في بيت معبودها. لحقيق على الله أن يبيدها"(١٩٩٧،ج٨،ص٥٩٦).

اما ابن الْقَلَانِسِيّ فكان أكثر حرية في تقديم الصـفات التي اتصـف بها مودود، اذ ذكر ان ســيرته في ولايته جائرة وطريقته في رعية الْمَوْصِـــل غير حميدة وهرب خلق كثير من ولايته لجوره (١٩٨٣،ج١،ص٢٩٩). لكن سياسته تغيرت بعدما عرف السلطان السلجوقي بأفعاله (ابن الْقَلَانِســيّ،٩٨٣،ج١،ص٢٩٩)اذ ذكر ما نصــه:" عاد عن تلك الطريقة وحســنت أفعاله وظهر عدله وانصـافه واسـتأنف ضـد ما عرف منه وسـمع عنه ولزم التدين والصـدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المكروه فشـــاعـت بـالجميـل أخبـاره وبحســـن الارتضـــاء آثـاره "(١٩٨٣،ج١،ص٢٩٩). وعلى الرغم من ذكر صفاته الإيجابية والسلبية معاً عاد ابن الْقَلَانِسِيّ وبين وجهة نظره بقوله:"ثم توفي ســعيدا مقتولا شــهيدا "(١٩٨٣،ج١،ص٢٩٩). اما ســبط ابن الجوزي فانه ذكر الرواية الموصلية المتمثلة بابن الأثير، والدمشقية الخاصة بابن الأثير ثم اعطى رايه التي تتوافق مع ما ذكره ابن الْقَلَانِسِيّ بقوله:" وقيل إن هذه الواقعة كانت سنة خمس وخمس مئة، وذكر بعضهم أن أتابك خاف منه فوضع عليه من قتله، وليس بصحيح... " (٢٠١٣،ج٢٠، ص٧٥) ويقصـــد هنا رواية ابن الأثير الذي ذكر بان طغتكين هو من قتله:" وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله"(١٩٩٧،ج٨، ص٥٩٦)

ومما يجب ذكره في هذا الموضـــع ان بعد وفاة مودود لم يذكر ابن الْقَلَانِســيّ الاحداث الخاصة بمدينة الْمَوْصِل ما بين السنوات (٥٠٧-٥٠٩هـــ/١١١٣-١١١٥م)، في حين ذكر ابن الأثير انه في سنة (٥٠٨هـــ/١١١٤م) في هذه السنة سير السلطان محمد بن مَلِكْشَاه بن أَلْب أَرْسَلَان (٥١١- ٤٩٨هـ/١١٠٥-١١١٨م) الأمير آقْسَنْقَر البُرْسُقي إلى الْمَوْصِل وأعمالها ليكون واليا عليها، بعد ان بلغه مقتل مودود، وســير معه ولده الملك مســعودا في جيش كثيف، وأمره بقتال الفرنج، وكتب إلى سـائر الأمراء بطاعته، فوصـل إلى الْمَوْصِـل، واتصـلت به عسـاكرها، وفيهم عمـاد الـدين زنكي بن آقْسَـــنْقَر مؤســـس الـدولـة الاتـابكيـة بـالْمَوْصِـــل(ابن الأثير،١٩٩٧،ج٨،ص٦٠١)

اما في سنة (٥٠٨هـ/١١١٤م) فذكر ابن الأثير ان السلطان محمد جهز عسكرا كثيرا، لمجابهة كل ايلغازي وزَنْكِي صاحب دمشق بسبب عصيانهما له، وجعل مقدمهم الأمير بُرْسُق بن بُرْسُق، صاحب همذان، ومعه الأمير جيوش بك والأمير كيدغدي، وعساكر الْمَوْصِل والجزيرة، وأمرهم بالبداية بقتال إيلغازي وزَنْكِي، فإذا فرغوا منها قصدوا بلاد الفرنج، وقاتلوهم، وحصروا بلادهم(١٩٩٧،ج٨،ص٦٠٧)، وساروا في رمضان(٥٠٨هـ)، وعبروا الفرات في آخر هذه السنة، عند الرقة، فلما قاربوا حلب راسلوا المتولي لأمرها لؤلؤا الخادم، ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص، يأمرونهما بتسليم حلب، وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك، فغالطا في الجواب، وأرسلا إلى إيلغازي وزَنْكِي يستنجدانهما، فسار إليهم في ألفي فارس، ودخلا حلب، فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان، وأظهروا العصيان (ابن الأثير،١٩٩٧،ج٨،ص٦٠٧)، ثم توجه الأمير برسق بن برسق إلى مدينة حماة، وهي في طاعة زَنْكِي، وحصرها، واستولى عليها، ثم سلمها إلى الأمير قرجان، صاحب حمص(ابن الأثير،١٩٩٧،ج٨،ص٦٠٧)، ونجد ان هذا الحدث لم يأت على ذكره ابن الْقَلَانِسِيّ لعل يرجع ذلك الى الهزيمة التي تعرض لها زَنْكِي صاحب دمشق، لكن في الوقت نفسه ذكر الخلافات القائمة بين السلطان محمد وزَنْكِي، وسعى الأصدقاء الى إزالة هذه الخلافات وذلك بقيام زَنْكِي بزيارة الى بغداد سنة (٥٠٩هـ/١١١٥م) من اجل الصلح بينه وبين السلطان محمد(١٩٨٣،ج١،ص٣٠٧). وقد ذكر ابن الأثير هذا الخبر ولكن بشكل مختصر جدا(١٩٩٧،ج٨،ص٦١١)، من هنا تأتي أهمية الدراسات المقارنة بين المصادر التاريخية في الكشف عن بعض الحقائق التي لم يذكرها مصدر ما ويعود ذلك الى أسباب عدة منها انتماءات المؤرخ السياسية لحاكم ما بحكم معاصرته له او انه كان تحت كنف الدولة التي يؤرخ لها، ومما تجدر الإشارة اليه ان ابن الْقَلَانِسِيّ لا يذكر معلومات عن ولاية الْمَوْصِل لـ جيوش بك، في حين ذكر ابن الأثير ان السلطان محمد اقطع الْمَوْصِل وما كان بيد آقْسَنْقَر البُرْسُقي للأمير جيوش بك سنة(٥٠٩هـ/١١١٥م) وسير ولده الملك مسعودا، وأقام البُرْسُقي بالرَحْبَة، وهي إقطاعه، إلى أن توفي السلطان محمد (١٩٩٧،ج٨،ص٦١١)، مع انه حكم الْمَوْصِل الى حين مقتله سنة (٥١٥هـ/١٢٢١م)(ابن الأثير،١٩٩٧،ج٨،ص٦٨٠). وقد تولى آقْسَنْقَر البُرْسُقي حكم الْمَوْصِل سنة (٥١٥هـ/١٢٢١م) في عهد السلطان السلجوقي محمود، ولم يدم حكم البُرْسُقي طويلاً سرعان ما ادركته الوفاة في ذي القعدة سنة (٥١٥هـ/١٢٢١م)،وعلى الرغم من ان ابن الْقَلَانِسِيّ لم يعط معلومات عن النشاط السياسي لـ آقْسَنْقَر البُرْسُقي، الا انه في حوادث سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) زودنا بمعلومات غاية في الأهمية عن وفاته بقوله: "في هذه السنة ورد الخبر من ناحية الْمَوْصِل باستشهاد الأمير الأَصْفَهْسَلَار سيف الدين اقسنقر البُرْسُقي صاحبها بيد الباطنية رحمه الله في مسجد الجامع بها

في ذي القعدة منها"(١٩٨٣،ج١،ص٣٤١)، وأعطى تفاصيل عن مقتله، واتهم بها الباطنية الذين تنكروا بزي الصوفية، وهجموا عليه عندما بدا بالصلاة(ابن الْقَلَانِسِيّ،١٩٨٣،ج١،ص٣٤١)، ثم ذكر بعد ذلك خصاله الحميدة، فقال عنه :"قد كان هذا الأمير رحمه الله سديد الطريقة جميل الأفعال حميد الأخلاق مؤثر العدل والانصاف كثير التدين محمود المقاصد محباً للخير وأهله مكرماً للفقهاء والصالحين فحزن الناس عليه وأسفوا لفقده على هذه الحال"(١٩٨٣،ج١،ص٣٤١)، اما سبط ابن الجوزي فاكتفى بالقول:" قتل البُرْسُقي في جامع الموصل، وولاها مسعود بن البُرْسُقي، فلم يقم بها"(٢٠١٣،ج٢٠،ص٣٦٥)، وذكر ابن الْقَلَانِسِيّ موقف زَنْكِي صاحب دمشق من وفاة آقْسَنْقَر البُرْسُقي بقوله :"ولما عرف ظهير الدين أتابك هذا قلق له وضاق صدره لسماعه"(١٩٨٣،ج١،ص٣٤١-٣٤٢)، وتولى الحكم بعده ولده عز الدين مسعود بن البُرْسُقي(٥٢٠-٥٢١هـ/١١٢٦-١١٢٧م)، فقال ابن الْقَلَانِسِيّ ما نصه:" وقام في الأمر بعده ولده الأمير مسعود وهو مشهور بالنجابة والزكاء معروف بالشهامة والعناء فاجتمع إليه خواص أبيه ووزيره وكتابه وسلك منهاجه المحمود وقصد قصده المشكور فاستقام له الأمر وانتظمت على السداد والمراد أحواله" (١٩٨٣،ج١،ص٣٤٢). هنا لا بد من القول ان ابن الْقَلَانِسِيّ قد اعطى معلومات عن صفات عز الدين مسعود بن البُرْسُقي وكانت إيجابية وذلك في سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م)، ولكن في موضع اخر قدمه بصورة تختلف عما ذكره سابقاً، وهي بعد ان تمكن مسعود من حكم الْمَوْصِل، قوي أمره، بقوله:". فلما استتب أمره، وقويت شوكته، واستقامت ولايته، شمخ بأنفه ونفخت حداثة السن في سحره، وحدّثته نفسه بمنازلة البلاد الشامية، والطمع في تملك المعاقل الإسلامية، والاطراح لمجاهدة العصب الافرنجية بالضد من أولي الحزامة، والسداد وذوي البأس والبسالة في احراز فضيلة الغزو والجهاد" (١٩٨٣،ج١، ص٣٤٣-٣٤٤)، وعندما سمع زَنْكِي صاحب دمشق بخطط مسعود قرر الاستعداد لقصده عندما يقترب مسعود من البلاد الشامية حتى يصده(ابن الْقَلَانِسِيّ،١٩٨٣،ج١،ص٣٤٥)، لكن ذلك لم يتحقق فأصابه مرض حاد عندما كان بظاهر الرَحْبَة، وعلى ذلك خذله أنصاره وجنده،وتفرقوا عنه خواصه وثقاته(ابن الْقَلَانِسِيّ،١٩٨٣،ج١،ص٣٤٥)، وهلك وزيره ولم يذكر اسمه لكن ابن الأثير ذكره وهو المؤيد أبا غالب ابن عبد الخالق بن عبد الرزاق (ابن الأثير،١٩٩٧،ج٨،ص٧٠٤) الذي وصفه ابن الْقَلَانِسِيّ بانه:" شريكه في الوزر ومشيره"(١٩٨٣،ج١،ص٣٤٥)، وأصيب بمرض حاد، أدى الى وفاته أيضا (ابن الْقَلَانِسِيّ،١٩٨٣،ج١،ص٣٤٥) ، وهذا ما ذكره أيضا الرُّهَاوِي المجهول ان مسعود قد توفي في الرَحْبَة الواقعة على نهر الفرات(١٩٨٦،ص١٢٥؛ ميخائيل السرياني،١٩٩٦،ج٣،ص١٩٨)، ويمكن القول ان ابن الأثير اتفق مع ابن الْقَلَانِسِيّ والرَّهَاوِي المجهول وميخائيل السرياني في ان البُرْسُقي كان يريد التغلب على بلاد الشام، فجمع عساكره،

وسار إلى الشام يريد قصد دمشق، فابتدأ بالرَحْبَة ، فوصل إليها ونازلها، وقام بحصارها، فأخذه مرض حاد وهو محاصر لها، فتسلم القلعة، ومات بعد ساعة من تسلمها(١٩٩٧،ج٩،ص٦)، ولم يذكر ابن الأثير الرواية الخاصة بـــ هروب جماعة من خواص غلمان أبيه الأتراك الى زَنْكِي، فاستقبلهم وبالغ في اكرامهم، وقربهم اليه(ابن الْقَلَانِسِيّ،١٩٨٣، ج١،ص٣٤٥)،على الرغم من ان ابن الأثير كان على اطلاع بكتاب الذيل لابن الْقَلَانِسِيّ ونقل منه، بقوله في حوادث (٥١٣هـ/١١١٩م):"وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل، وقبرا ولديه إسحاق ويعقوب، عليهم السلام، بالقرب من البيت المقدس، ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم، وعندهم في المغارة قناديل من ذهب وفضة، هكذا ذكره حمزة بن أسد التميمي في تاريخه، والله أعلم"(١٩٩٧،ج٨، ص٦٤٧)، وكان ابن الأثير أكثر تفصيلاً من ابن الْقَلَانِسِيّ في الاحداث التي تلت وفاة مسعود بحكم إقامة اسرته في الْمَوْصِل نفسها، لاسيما وان والده كان مصدر رواياته عن هذه الفترة، اذ كان في خدمة بعض امراء الدولة الاتابكية ، فقال ان مسعود بعد وفاته بقي مطروحا على بساط لم يدفن(١٩٩٧،ج٩،ص٧)، وتفرق عنه عساكره، ونهب بعضهم بَعْضًا، ودفن بعد ذلك، وتسلم امر الْمَوْصِل بعده اخوه الصغير، واستولى على الْمَوْصِل، مملوك للبُرْسُقي يعرف بالجَاوْلِي (ابن الأثير،١٩٩٧،ج٩،ص٧)، وطلب من السلطان محمود بن محمد بن مَلِكْشَاه (٥١٢-٥٢٥هـ/١١٠٥-١٢٣١م) ان يقر ابن البُرْسُقي على الْمَوْصِل، وارسلت الرسل اليه ولكن استقر الامر بعد المحادثات مع وزير السلطان محمود وهو شرف الدين أنو شروان بن خالد(٥٢١-٥٢٢هـ/١١٢٧-١١٢٨م) على اختيار عماد الدين زنكي(٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦م) لتولي إدارة الْمَوْصِل، وسبب ذلك ان بعد وفاة البُرْسُقي تمكن الفرنج من بلاد المسلمين، وقويت شوكتهم بها، فاستولوا على أكثرها، وقد أصبحت ولايتهم من حدود ماردين إلى عريش مصر، وكان للبرسقي الدور الكبير في منع تقدمهم، وذكر ابن الأثير ما نصه:" ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع، ذي رأي وتجربة، يذب عنها ويحفظها ويحمي حوزتها" ونقل الوزير وجهة نظر الوفد فوقع الاختيار على عماد الدين زنكي(١٩٩٧،ج٩،ص٨)، فسار عماد الدين زنكي الى البَوازِيج بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصبّ في دجلة للسيطرة عليها(ياقوت الحموي،١٩٩٥،ج١،ص٥٠٣)، لأنه خاف من جَاوْلِي أنه ربما صده عن البلاد، فلما دخل البوازيج سار عنها إلى الْمَوْصِل، وعندما سمع جَاوْلِي بقربه من البلد خرج إلى تلقيه ومعه جميع العسكر، فلما رآه جَاوْلِي نزل عن فرسه، وقبل الأرض بين يديه، وعاد في خدمته إلى الْمَوْصِل، فدخلها في رمضان، وأقطع جَاوْلِي الرَحْبَة وسيره إليها، وأقام بالْمَوْصِل يصلح أمورها، ويقرر قواعدها، فولى نصير الدين دزدارية القلعة بالْمَوْصِل أي حافظ القلاع، وجعل إليه سائر دزدارية القلاع، وجعل صلاح الدين محمدا أمير حاجب، وبهاء الدين بن شداد قاضي قضاة بلاده

جميعهـا، وزاده أملاكـا، وأقطـاعـاً، واحترامـاً، وكـان لا يصـــــدر إلا عن رأيـه(ابن الأثير،١٩٩٧،ج٩،ص٨).

الخاتمة:

بعد اســتعراض الروايات التي أوردها ابن الْقَلَانِسِــيّ في كتابه **ذيل تاريخ دمشــق** عن الموصل في عهد الدولة السلجوقية في الموصل يمكن الخروج بنتائج عدة وهي:

١. يمكن القول ان كتاب **ذيل تاريخ دمشق** من المصادر االتاريخية السياسية المحلية التي أرخت لاحداث تاريخ الموصل وبالأخص السياسي في عهد مكم السلاجقة للموصل.
٢. ذكر ابن الْقَلَانِسِيّ معظم حكام الدولة السلجوقية فيما عدا واحد منهم وهو جيوش بك .
٣. كانت معظم الاحداث التي ذكرها ابن الْقَلَانِسِيّ تتعلق بوجهة نظر دمشق التي يمكن ان نطلق عليها المصادر الشامية، لكونه مؤرخ دمشق الرسمي الذي عاش في ظل الدولة البورية وحاكمها ظهير الدين زَنْكِي.
٤. كان ابن الْقَلَانِسِيّ اكثر حرية في التعبير عن الاحداث السياسية التي كانت بالضد من الجانب الاخر لمدينة الموصل، وهذا ما وجدناه عند مقارنة رواياته التاريخية مع ابن الأثير في كتابه **الكامل في التاريخ** .وجد من خلال المقارنة بين ابن الْقَلَانِسِيّ وابن الأثير ان الأخير لا يورد معلومات كان قد ذكرها ابن القلانس لأنها لا تتناسب وميول ابن الأثير السياسية المحلية تجاه مدينته على الرغم من انه استعان بكتاب **الذيل** في تاريخه، وبالمقابل فان ابن الْقَلَانِسِيّ قد اغفل عن ذكر بعض الاحداث التاريخية لربما لم تتوفر لديه المصادر، او انها كانت بالضد من الدولة البورية، وكذا الحال لـ سبط ابن الجوزي الذي تبنى الرواية الشامية والموصلية لكنه اخذ براي الرواية الشامية مع ذكر السبب.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).(١٩٩٧/٢٠٠٦) . الكامل في التاريخ . تحقيق: عمر عبد السلام تدمري . دار الكتب العلمية. بيروت.

تاريخ الرُّهَاوِي المجهول.(١٩٨٦). تعريب: الأب البير ابونا. مطبعة شفيق. بغداد.

ابن تغري بردي : جمال ابن ابي المحاسن يوسف (٨٧٤هـ/١٤٦٩م).(١٩٦٣).النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة.

جب ، هاملتون .(١٩٧٣).صلاح الدين الايوبي دراسات في التاريخ الإسلامي. ترجمة: يوسف ايبش . المؤسسة العربية للدراسات والنشر. لبنان.

الجميلي، رشيد عبد الله.(١٩٨٠). امارة ال إمارة الْمَوْصِل في العصر السلجوقي ٤٨٩-٥٢١هـ. جامعة بغداد. بغداد.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).(١٩٩٤). وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: احسان عباس .دار صادر. بيروت.

الذهبي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد (٧٤٨هـ/١٣٤٨م).(١٩٦٨). سير اعلام النبلاء. تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان . مؤسسة الرسالة. بيروت

السرياني، مار ميخائيل(ت٥٩٦هـ/١١٩٩م).(١٩٩٦). تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير. تعريب: غريغوريوس صليبا شمعون. تقديم: مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم. مطبعة الف باء الأديب. سوريا.

زكار ، سهيل.(١٩٧٣). مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية .ط٢. دار الفكر. بيروت

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف .(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م).(٢٠١٣). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان. تحقيق: ابراهيم الزيبق. دار الرسالة العالمية. بيروت.

ابن العديم ، كمال الدين عمر بن احمد بن ابي جرادة(ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) .(١٩٦٨). زبدة الحلب في تاريخ حلب. تحقيق: سامي الدهان. المطبعة الكاثوليكية. بيروت.

ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧٢هـ/١١٧٦م) .(١٩١٣). تهذيب تاريخ دمشق . تحقيق: عبد القادر افندي بدران . مطبعة روضة الشام . سوريا.

ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني(ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م).(١٩٦٣). تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب. تحقيق: مصطفى جواد. المطبعة الهاشمية. دمشق.

ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة بن اسد بن علي. (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م).(١٩٠٨).ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الاباء اليسوعيين . بيروت.

ابن القلانسي.(١٩٨٣). ذيل تاريخ دمشق. تحقيق: سهيل زكار. دار حسان للطباعة والنشر. سوريا.

كاهن ، كلود.(١٩٩٥).الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية . ترجمة: احمد الشيخ . دار سينا للنشر. القاهرة.

ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء إسماعيل. (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).(١٩٦٨).البداية والنهاية. دار ابن كثير. سوريا.

النعيمي، عبد القادر بن محمد .(ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م).(١٩٤٨).الدارس في تاريخ المدارس .تحقيق: جعفر الحسني . مطبعة الترقي. سوريا.

ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله .(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).(١٩٢٢). معجم الادباء . .ط٢.تحقيق:صموئيل ماركوليوث. دار المستشرق. بيروت .

ياقوت الحموي.(١٩٩٥). معجم البلدان. دار صادر. بيروت.

References

Ibn al-Adim, Kamal al-Din Umar ibn Ahmad ibn Abi Jarada (d. 660 AH/1262 AD). (1968). Zubdat al-Halab fi Tarikh Halab (Sami ,D. ed). Al-Matbaa al-Katholikiyya. Beirut.

Ibn Asakir, Abu al-Qasim Ali ibn al-Hasan ibn Hibat Allah (d. 572 AH/1176 AD). (1913). Tahdhib Tarikh Dimashq (Abd al-Qadir, B. ed). Rawdat al-Sham Press. Syria.

Ibn al-Athir, Izz al-Din Abi al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam (d. 630 AH/1232 AD). (1997/2006). Al-Kamil fi al-Tarikh (Umar, T .ed.), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. Beirut.

Cahen, C. (1995). Orient et Occident au temps des Croisades (Ahmed, S. trans.).

Dar Sina Publishing. Cairo.

The Chronicle of the Anonymous Edessan.(1986). (Albert, A. Trans).Baghdad.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abi Abd Allah Muhammad ibn Ahmad (d. 748 AH/1348 AD). (1968). Siyar A'lam al-Nubala'. (Bashar ,A. M. & Muhi ,H.S. eds). 3rd ed. Mu'assasat al-Risalah. . Beirut.

Al-Jumaily, R. (1980). The Emirate of Mosul in the Seljuk Era 489-521 AH. University of Baghdad. Baghdad.

Ibn al-Fuwati, Abd al-Razzaq ibn Ahmad ibn Muhammad al-Sabuni (d. 723 AH/1323 AD). (1963). Talkhis Majma' al-Adab fi Mu'jam al-Alqab .(Mustafa, J. ed.). Al-Hashimiyya Press. Damascus.

Gibb, H. (1973). Saladin: Studies in Islamic History .Yusuf, I. trans). The Arab Institute for Studies and Publishing. Lebanon.

Ibn Kathir, Imad al-Din Abu al-Fida Ismail (d. 774 AH/1372 AD). (1968). Al-Bidaya wa al-Nihaya. Dar Ibn Kathir. Syria.

Ibn Khallikan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim .(d. 681 AH/1282 AD). (1994). Wafayat al-A'yan wa Anba Abna al-Zaman. (Ihsan, A. ed). Dar Sadir. Beirut.

Al-Nu'aymi, Abd al-Qadir ibn Muhammad. (d. 927 AH/1520 AD). (1948). Al-Daris fi Tarikh al-Madaris. (Jaafar al-Hasani. ed.). Al-Taraqqi Press. Syria.

Michael the Syrian. (d. 596 AH/1199 AD). (1996). The Chronicle of Michael the Syrian the Great. (Gregorios, S. S. Arabized). (Mar Gregorios Yohanna Ibrahim, intro.) Alif Ba' al-Adib Press. Syria.

Ibn al-Qalanisi, Abu Ya'la Hamza ibn Asad ibn Ali (d. 555 AH/1160 AD). (1908). Dhayl Tarikh Dimashq, Jesuit Fathers' Press. Beirut.

Ibn al-Qalanisi. (1983). Dhayl Tarikh Dimashq.(Suhayl ,Z. ed.), Dar Hassan for Printing and Publishing. Syria.

Sibt Ibn al-Jawzi, Shams al-Din Abu al-Muzaffar Yusuf ibn Qiz Oghli ibn Abd Allah (d. 654 AH/1256 AD). (2013). Mir'at al-Zaman fi Tawarikh al-A'yan. (Ibrahim al-Zibaq, ed.).Dar al-Risalah al-Alamiyyah. Beirut.

Ibn Taghribirdi, Jamal ibn Abi al-Mahasin Yusuf (d. 874 AH/1469 AD). (1963). al-Nujūm al-Zāhirah fī mulūk Miṣr wa-al-Qāhirah.The Egyptian General Organization for Authorship and Translation, Printing and Publishing. Cairo.

Yaquut al-Hamawi, Shihab al-Din ibn Abd Allah (d. 626 AH/1228 AD). (1922). Mu'jam al-Udaba' (Samuel, Margoliouth. ed.).2nd ed. Dar al-Mustashriq. Beirut.

Yaquut al-Hamawi. (1995). Mu'jam al-Buldan, Dar Sadir. Beirut.

Zakkar, S. (1973). Introduction to the History of the Crusades. 2nd ed. Dar al-Fikr. Beirut.